بُنَاة دَوْلَةِ الإِسْلَام
- ٥٣ -

بِلَال بن رَبَاح

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

بِلالُ بن رَباح

وُلِدَ بِلَالٌ فِي التَّاسِعَةِ وَالأَرْبَعِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَرْبَعِ سَنَوَاتٍ، وَكَانَتْ سِنُّهُ قَرِيبَةً مِنْ سِنِّ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَكَانَ شُعَيبُ بنُ طَلْحَةَ منِ وَلَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَقُولُ: كَانَ بِلَالُ تِرْبَ أَبِي بَكْرٍ.

وُلِدَ بِلَالٌ فِي مَنْطِقَةِ السَّرَاةِ إِلَى الجَنُوبِ مِنْ مَكَّةَ مِنْ أَبٍ حَبَشِيٍّ، وَهُوَ مِنَ الرَّقِيقِ، وَيُدْعَى رَبَاحاً، وَمِنْ أُمٍّ مِنَ الرَّقِيقِ، وَتُدْعَى حَمَامَةَ، وَلَعَلَّهَا مِنَ الحَبَشَةِ أَيْضاً. ثُمَّ انْتَقَلَتْ هَذِهِ الأُسْرَةُ إِلَى الحِجَازِ، أَوْ نُقِلَتْ، وَكَانَ مَكَانَ إِقَامَتِهَا مَكَّةُ، وَيَبْدُو أَنَّ الزَّوْجَ رَبَاحاً قَدْ مَاتَ، وَكَانَتْ زَوْجُهُ «حَمَامَةُ» عِنْدَ بَنِي جُمَحٍ أَحَدِ بُطُونِ قَبِيلَةِ قُرَيْشٍ المَعْرُوفِينَ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ يَوْمَذَاكَ «أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ»، وَيَبْدُو أَنَّ «حَمَامَةَ» قَدْ تُوُفِّيَتْ، وَبَقِيَ بِلَالٌ فِي بَنِي جُمَحٍ عَبْداً.

كَانَ لِـبِلَالٍ أَخٌ يُدْعَى خَالِدَاً، وَأُخْتٌ تُسَمَّى «غُفَيْـرَةَ» وَقَدْ أَهْمَلَهُمَـا التَّارِيخُ، وَأَبْـرَزَ أَخـاهمـا بِـلَالاً لِصَبْـرِهِ عَلَى الأَذَى وَتَحَمُّلِهِ الشَّـدَائِدَ، وَلِأَنَّـهُ مُؤَذِّنُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ حِفْظُ التَّارِيخِ مُكَافَأَةً لَهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا بِجَانِبِ النَّصْرِ الَّذِي حَقَّقَـهُ، وَفِي الآخِرَةِ هُـوَ فِي الجَنَّةِ حَسْبَمَـا أَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ يُكَنَّى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ: أَبَا عَمْرٍو، وَقِيلَ: أَبَا عَبْـدِ الكَرِيمِ.

كَانَ بِلَالُ آدَمَ[1]، شَدِيدَ الأُدْمَةِ، نَـحِيفَاً، طُوَالاً، أَجْنَأَ[2]، لَهُ شَعْرٌ كَثِيرٌ، خَفِيفَ العَارِضَيْنِ، بِهِ شَمْطٌ[3] كَثِيرٌ، وَكَانَ لَا يُغَيِّرُ.

إِسْلَامُ بِلَالٍ

بُعِثَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَٱنْتَشَـرَتْ أَخْبَارُ الدَّعْوَةِ، وَطَرَقَتْ مَسَامِعَ الضُّعَفَاءِ فَأَسْرَعُوا نَحْوَهَـا، وَقَدْ عَلِمُـوا أَنَّها لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ السَّادَةِ وَالعَبِيدِ، وَلَا تُمَايِزُ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَلَا

---

(١) آدم: أسمر.
(٢) أجنأ: أحدب الظهر.
(٣) الشمط: بياض الرأس يخالط سواده.

بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ وَالفُقَرَاءِ، وَأَسْلَمَ بِلاَلٌ مَعَ مَنْ أَسْلَمَ.

وَلَمَّا عَلِمَ بَنُو جُمَحٍ بِإِسْلاَمِ بِلاَلٍ عَذَّبُوهُ عَذَاباً شَدِيداً لِيَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ فَمَا أَعْطَاهُمْ قَطُّ كَلِمَةً مِمَّا يُرِيدُونَ، وَكَانَ الَّذِي يُعَذِّبُهُ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ. وَكَانَ إِذَا اشْتَدُّوا عَلَيْهِ فِي العَذَابِ قَالَ: أَحَدٌ، أَحَدٌ، فَيَقُولُونَ لَهُ: قُلْ كَمَا نَقُولُ، فَيَقُولُ: إِنَّ لِسَانِي لاَ يُحْسِنُهُ.

عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّه قَالَ: أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَخَبَّابٌ، وَبِلاَلٌ، وَصُهَيْبٌ، وَعَمَّارٌ، وَسُمَيَّةُ أُمُّ عَمَّارٍ؛ قَالَ: فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنَعَهُ عَمُّهُ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ قَوْمُهُ، وَأُخِذَ الآخَرُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الحَدِيدِ، ثُمَّ صَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ حَتَّى بَلَغَ الجُهْدُ مِنْهُمْ كُلَّ مَبْلَغٍ فَأَعْطَوْهُمْ مَا سَأَلُوا، فَجَاءَ كُلَّ رَجُلٍ قَوْمُهُ بِأَنْطَاعِ الأُدْمِ فِيهَا المَاءُ فَأَلْقَوْهُمْ فِيهِ وَحَملُوا بِجَوَانِبِهِ إِلاَّ بِلاَلاً، فَلَمَّا كَانَ العَشِيُّ جَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَجَعَلَ يَشْتُمُ سُمَيَّةَ وَيَرْفُثُ، ثُمَّ طَعَنَهَا فَقَتَلَهَا فَهِيَ أَوَّلُ شَهِيدٍ اسْتُشْهِدَ فِي الإِسْلاَمِ، إِلاَّ بِلاَلاً فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ حَتَّى مَلُّوهُ، فَجَعَلُوا فِي عُنُقِهِ حَبْلاً، ثُمَّ أَمَرُوا صِبْيَانَهُمْ أَنْ يَشْتَدُّوا بِهِ بَيْنَ أَخْشَبَيْ مَكَّةَ، فَجَعَلَ بِلاَلٌ يَقُولُ: أَحَدٌ، أَحَدٌ.

وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ اتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾(١)، قَالَ، يَقُولُ أَبُو جَهْلٍ: أَيْنَ بِلَالُ؟ أَيْنَ فُلَانُ أَيْنَ فُلَانُ. كُنَّا نَعُدُّهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الأَشْرَارِ فَلَا نَرَاهُمْ فِي النَّارِ، أَمْ هُمْ فِي مَكَانٍ لَا نَرَاهُمْ فِيهِ، أَمْ هُمْ فِي النَّارِ لَا نَرَى مَكَانَهُمْ؟.

وَذَاتَ مَرَّةٍ أَخَذَ بِلَالاً أَهْلُهُ فَمَطُّوهُ وَأَلْقُوا عَلَيْهِ مِنَ البَطْحَاءِ وَجِلْدَ بَقَرَةٍ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: رَبُّكَ اللَّاتُ والعُزَّى، وَيَقُولُ: أَحَدٌ، أَحَدٌ، فَأَتَى أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: عَلَامَ تُعَذِّبُونَ هَذَا الإِنْسَانَ؟ فَاشْتَرَاهُ بِسَبْعِ أَوَاقٍ وَأَعْتَقَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: الشِّرْكَةَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: قَدْ أَعْتَقْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اشْتَرَى بِلَالاً وَهُوَ مَدْفُونٌ فِي الحِجَارَةِ بِخَمْسِ أَوَاقٍ ذَهَباً، فَقَالُوا: لَوْ أَبَيْتَ إِلَّا أُوقِيَّةً لَبِعْنَاكَهُ، قَالَ: لَوْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مِائَةَ أُوقِيَّةٍ لَأَخَذْتُهُ(٢).

رَوَى سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ عَنْكَ

---

(١) سورة ص: ٦٢ ـ ٦٣.
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٥٠.

فَلاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، وَكُنْتُ أَنَـا، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَبِـلاَلُ، وَرَجُلُ مِنْ هُذَيْلٍ وَآخَرَانِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُـونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ . . . . . . ﴾[1].

هِجْرَةُ بِلاَلٍ

لَمَّا هَاجَرَ بِلاَلُ إِلَى المَدِينَةِ نَزَلَ عَلَى سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ، وَآخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنَ بِلاَلٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الخَثْعَمِيِّ المَعْرُوفِ بِأَبِي رُوَيْحَةَ، وَكِـلاَهُمَا مُهَـاجِرٌ، وَعِنْدَمَا دَوَّنَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ الدَّوَاوِينَ بِالشَّامِ خَرَجَ بِـلاَلُ إِلَى الشَّامِ فَأَقَامَ بِهَا مُجَاهِداً، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: إِلَى مَنْ تَجْعَلُ دِيوَانَكَ يَا بِلاَلُ؟ قَالَ: مَعَ أَبِي رُوَيْحَةَ لاَ أُفَارِقُهُ أَبَداً لِلأُخُوَّةِ الَّتِي كَـانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَقَدَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ. فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَضَمَّ دِيوَانَ الحَبَشَةِ إِلَى خَثْعَمَ لِمَكَانِ بِلاَلٍ مِنْهُمْ.

وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ آخَى بَيْنَ بِلاَلٍ وَعُبَيْدَةَ بنِ الحَارِثِ بنِ المُطَّلِبِ، وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ أَيْضاً.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّـا قَدِمَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلاَلُ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى يَقُولُ:

---

(١) الأنعام ٥٢.

كُلّ امْرِيءٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ
وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً
بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْماً مِيَاهَ مَجَنَّةٍ
وَهَلْ يَبْدُوَن لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

اللَّهُمَّ العَنْ عُتبَةَ، وَشَيْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بنَ خَلَفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ(١).

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ المُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ، فَيَتَحَيَّنُونَ لِلصَّلَاةِ، وَلَيْسَ يُنَادِي بِهَا أَحَدٌ، فَتَكَلَّمُوا يَوْماً فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوساً مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَرْناً مِثْلَ قَرْنِ اليَهُودِ، قَالَ عُمَرُ: أَوَ لَا تَبْعَثُونَ رَجُلاً يُنَادِي بِالصَّلَاةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ

(١) رواه البخاري، وأحمد.

اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا بِلَالُ، قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ[1].

عَنْ أَبِي عُمَيْرِ بنِ أَنَسٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عُمُومَةٍ لَهُ مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: «اهْتَمَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلصَّلَاةِ، كَيْفَ يَجْمَعُ النَّاسَ عَلَيْهَا؟ فَقِيلَ: انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ. فَذُكِرَ لَهُ القُنْعُ - وَهُوَ شَبُّورُ اليَهُودِ - فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: هُوَ مِنْ أَمْرِ اليَهُودِ، فَذُكِرَ لَهُ النَّاقُوسُ، فَقَالَ: هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى، فَانْصَرَفَ عَبْدُاللَّهِ بنُ زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ مُهْتَمٌّ لِهَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُرِيَ الأَذَانَ فِي مَنَامِهِ، فَغَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَبَيْنَ نَائِمٍ وَيَقْظَانَ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الأَذَانَ، وَكَانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ قَدْرَآهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَكَتَمَهُ عِشْرِينَ يَوْماً، قَالَ: ثُمَّ أَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنَا؟ فَقَالَ: سَبَقَنِي عَبْدُ اللَّهِ بنُ زَيْدٍ، فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُمْ يَا بِلَالُ، فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بنُ زَيْدٍ فَفْعَلْ، فَأَذَّنَ بِلَالُ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي.

الأَنْصَارَ تَزْعُمُ: لَوْلاَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ زَيْدٍ كَانَ يَوْمَئِذٍ مَرِيضاً لَجَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَذِّناً[1].

كَانَ بِلالٌ إِذَا فَرَغَ مِنَ الأَذَانِ فَأَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَدْ أَذَّنَ وَقَفَ عَلَى البَابِ وَقَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ، الصَّلاَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَآهُ بِلاَلٌ ابْتَدَأَ فِي الإِقَامَةِ.

كَانَ النَّجَاشِيُّ قَدْ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلاَثَ عَنَزَاتٍ[2] فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحِدَةً لِنَفْسِهِ، وَأَعْطَى عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ وَاحِدَةً، وَأَعْطَى عُمَرَ ابنَ الخَطَّابِ وَاحِدَةً، فَكَانَ بِلاَلٌ يَمْشِي بِتِلْكَ العَنَزَةِ الَّتِي أَمْسَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي العِيدَيْنِ يَوْمَ الفِطْرِ وَيَوْمَ الأَضْحَى حَتَّى يَأْتِيَ المُصَلَّى فَيَرْكُزُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَيُصَلِّي إِلَيْهَا، ثُمَّ كَانَ يَمْشِي بِهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ كَانَ سَعْدُ القَرظِ يَمْشِي بِهَا بَيْنَ يَدَيْ

---

(١) أخرجه أبو داود رقم ٤٩٨ في الصلاة باب بدء الأذان.

(٢) العنزة: رُمَيح بين الرمح والعصا، وله زجّ.

عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وَعُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ فِي العِيدَيْنِ، فَيَرْكُزُهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمَا وَيُصَلِّيَانِ إِلَيْهَا.

عَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ: أَنَّ بِلَالاً كَانَ يُؤَذِّنُ حِينَ يَدْحُضُ الشَّمْسَ وَيُؤَخِّرُ الإِقَامَةَ قَلِيلاً وَلَكِنْ لَا يَخْرُجُ فِي الأَذَانِ عَنِ الوَقْتِ.

وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثَةُ مُؤَذِّنِينَ: بِلَالٌ، وَأَبُو مَحْذُورَةَ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِذَا غَابَ بِلَالٌ أَذَّنَ أَبُو مَحْذُورَةَ، وَإِذَا غَابَ أَبُو مَحْذُورَةَ أَذَّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ.

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَوْمَ الفَتْحِ بِلَالاً أَنْ يُؤَذِّنَ عَلَى ظَهْرِ الكَعْبَةِ، فَأَذَّنَ عَلَى ظَهْرِهَا وَالحَارِثُ بنُ هِشَامٍ وَصَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ قَاعِدَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: انْظُرْ إِلَى هَذَا الحَبَشِيِّ، فَقَالَ الآخَرُ: إِنْ يَكْرَهْهُ اللَّهُ يُغَيِّرْهُ.

وَشَهِدَ بِلَالٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَدْراً وَأُحُداً وَالخَنْدَقَ وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ.

رَوَى أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ حَدِيثاً، جَاءَ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا فِي

الصَّحِيحَيْنِ، انْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِحَدِيثَيْنِ، وَمُسْلِمٌ بِحَدِيثٍ، وَاتَّفَقَا عَلَى حَدِيثٍ.

حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَأُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ عُمَرَ، وَأَبُو إِدْرِيسَ الخَوْلَانِيُّ، وَسَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي لَيْلَى وَغَيْرُهُمْ.

وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ: «حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي قَدْ سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشَفَةَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى مِنْ أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُوراً تَامّاً فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ لِرَبِّي مَا كَتَبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ[1].

عَن ابْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَا بِلَالاً، فَقَالَ: «بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، إِنِّي دَخَلْتُ الجَنَّةَ البَارِحَةَ، فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، وَأَتَيْتُ عَلَى

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٤٩) في التهجد. وأخرجه مسلم (٢٤٢٨) في الفضائل.

قَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ قَالُوا: لِعُمَرَ». فَقَالَ بِلَالٌ: مَـا أَذَّنْتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ إِلَّا تَوَضَّأْتُ، وَرَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ أَرْكَعُهُمَا، فَقَالَ: «بِهَا»(١).

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «السُّبَّاقُ أَرْبَعَةٌ: أَنَا سَابِقُ العَرَبِ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ الفُرْسِ، وَبِلَالٌ سَابِقُ الحَبَشَةِ، وَصُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّومِ»(٢).

مَعَ أَبِي بَكْرٍ

لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَذَّنَ بِلَالٌ وَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يُقْبَرْ، فَكَانَ إِذَا قَالَ «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» انْتَحَبَ النَّاسُ فِي المَسْجِدِ. فَلَمَّا دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: أَذِّنْ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَعْتَقْتَنِي لِأَنْ أَكُونَ مَعَكَ فَسَبِيلُ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتَ أَعْتَقْتَنِي لِلَّهِ فَخَلِّنِي وَمَنْ أَعْتَقْتَنِي لَهُ، فَقَال: مَا أَعْتَقْتُكَ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي لَا أُؤَذِّنُ لِأَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٣٥٤، والترمذي (٣٦٩٠)، والطبراني (١٠١٢) في الكبير، وأبو نعيم في الحلية ١/١٥٠.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/١٤٩ و١٨٥، والحاكم ٣/٢٨٥.

وَسَلَّمَ، قَالَ: فَذَاكَ إِلَيْكَ. قَالَ: فَأَقَامَ حَتَّى خَرَجَتْ بُعُوثُ الشَّامِ فَسَارَ مَعَهُمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا.

ورَوَى سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا قَعَدَ عَلَى المِنْبَرِ يَوْمَ الجُمُعَةِ قَالَ لَهُ بِلَالٌ: يَا أَبَا بَكْرٍ، قَالَ: لَبَّيْكَ، قَالَ: أَعْتَقْتَنِي لِلَّهِ أَوْ لِنَفْسِكَ؟ قَالَ: لِلَّهِ، قَالَ: فَأْذَنْ لِي حَتَّى أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَذَهَبَ إِلَى الشَّامِ فَمَاتَ ثَمَّ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَقَالَ لَهُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَفْضَلُ عَمَلِ المُؤْمِنِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَمَا تَشَاءُ يَا بِلَالُ؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى أَمُوتَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا بِلَالُ وَحُرْمَتِي وَحَقِّي فَقَدْ كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، فَأَقَامَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ.

بَلَغَ بِلَالاً أَنَّ نَاساً يُفَضِّلُونَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ يُفَضِّلُونِي عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أَنَا حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ.

مَعَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ

لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو بَكْرٍ جَاءَ بِلَالٌ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فَقَالَ لَهُ كَمَا

قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَرَدَّ عَلَيْهِ عُمَرُ كَمَا رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، فَأَبَى بِلَالُ عَلَيْهِ: فَقَالَ عُمَرُ فَإِلَى مَنْ تَرَى أَنْ أَجْعَلَ النِّدَاءَ؟ فَقَالَ: إِلَى سَعْدٍ، فَإِنَّهُ قَدْ أَذَّنَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَا عُمَرُ سَعْداً فَجَعَلَ الأَذَانَ إِلَيْهِ وَإِلَى عَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَيَبْدُو ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ أَنَّ بِلَالاً بَقِيَ فِي المَدِينَةِ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، وَمَعَ عُمَرَ، حَتَّى خَرَجَ عُمَرُ إِلَى الشَّامِ، فَخَرَجَ بِلَالُ مَعَهُ، وَفِي الشَّامِ طَلَبَ بِلَالُ مِنْ عُمَرَ أَنْ يُبْقِيَهُ بِالشَّامِ فَفَعَلَ، فَبَقِيَ هُنَاكَ.

لَما كَانَ عُمَرُ بِالجَابِيَةِ بِالشَّامِ طَلَبَ مِنْهُ المُسْلِمُونَ أَنْ يَسْأَلَ لَهُمْ بِلَالاً يُؤَذِّنَ لَهُمْ فَأَذَّنَ يَوْماً فَلَمْ يُرَ يَوْمٌ كَانَ أَكْثَرَ بَاكِياً مِنْ يَوْمِئِذٍ، ذِكْراً مِنْهُمْ لِلنَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا (يَعْنِي بِلَالاً) .

وَذَكَرَ عُمَرُ فَضْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَجَعَلَ يَصِفُ مَنَاقِبَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَهَذَا سَيِّدُنَا بِلَالُ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ.

زَوَاجُ بِلَالٍ

عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ قَالَ: إِنَّ بَنِي أَبِي البُكَيْرِ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: زَوِّجْ أُخْتَنَا فُلَاناً، فَقَالَ لَهُمْ: أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ بِلَالٍ؟ ثُمَّ جَاءُوا مَرَّةً أُخْرى فَقَالُوا: يَا رَسُولَ

اللَّهِ أَنْكِحْ أُخْتَنَا فُلاَنَاً، فَقَالَ: أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ بِلاَلٍ؟ ثُمَّ جَاءُوا الثَّالِثَةَ فَقَالُوا: أَنْكِحْ أُخْتَنَا فُلاَنَاً، فَقَالَ: أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ بِلاَلٍ؟ أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قَالَ: فَأَنْكَحُوهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ بِلاَلاً تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَرَبِيَّةً مِنْ بَنِي زُهْرَةَ.

وَرَوَى الشَّعْبِيُّ فَقَالَ: خَطَبَ بِلاَلٌ وَأَخُوهُ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ اليَمَنِ فَقَالَ: أَنَا بِلاَلٌ وَهَذَا أَخِي، عَبْدَانِ مِنَ الحَبَشَةِ، كُنَّا ضَالَّيْنِ فَهَدَانَا اللَّهُ، وَكُنَّا عَبْدَيْنِ فَأَعْتَقَنَا اللَّهُ، إِنْ تُنْكِحُونَا فَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ تَمْنَعُونَا فَاللَّهُ أَكْبَرُ.

وَعَنَ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: لَمَّا دَخَلَ عُمَرُ الشَّامَ، سَأَلَ بِلاَلٌ أَنْ يُقِرَّهُ بِهِ فَفَعَلَ، قَالَ: وَأَخِي أَبُو رُوَيْحَةَ الَّذِي آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَنَزَلَ بِدَارِيَّا فِي خَوْلاَنَ، فَأَقْبَلَ هُوَ وَأَخُوهُ إِلَى قَوْمٍ مِنْ خَوْلاَنَ، فَقَالُوا: إِنَّا قَدْ أَتَيْنَاكُمْ خَاطِبَيْنِ، وَقَدْ كُنَّا كَافِرَيْنِ فَهَدَانَا اللَّهُ، وَمَمْلُوكَيْنِ فَأَعْتَقَنَا اللَّهُ، وَفَقِيرَيْنِ فَأَغْنَانَا اللَّهُ، فَإِنْ تُزَوِّجُونَا فَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِنْ تَرُدُّونَا، فَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، فَزَوَّجُوهُمَا.

حَدَّثَ عَمْرُو بنُ مَيْمُونَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إِنَّ أَخَاً لِبِلاَلٍ كَانَ يَنْتَمِي إِلَى العَرَبِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ، فَخَطَبَ امْرَأَةً مِنَ العَرَبِ، فَقَالُوا: إِنْ حَضَرَ بِلاَلٌ زَوَّجْنَاكَ. قَالَ: فَحَضَرَ بِلاَلٌ فَتَشَهَّدَ

وَقَالَ: أَنَا بِلَالُ بنُ رَبَاحٍ وَهَذَا أَخِي، وَهُوَ امْرُؤُ سَوْءٍ فِي الخُلُقِ وَالدِّينِ، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تُزَوِّجُوهُ وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَدَعُوا فَدَعُوا، فَقَالُوا: مَنْ تَكُونُ أَخَاهُ نُزَوِّجُهُ، فَزَوَّجُوهُ.

وَيَبْدُو ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ أَنَّ بِلَالاً لَمْ يُنْجِبْ.

وَفَاةُ بِلَالٍ

تُوُفِّيَ بِلَالٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِدِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ[1]، وَهُوَ ابنُ بِضْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ دُفِنَ بِبَابِ كَيْسَانَ[2]. وَقَالَ بَعْضُهُمُ الآخَرُ لَقَدْ تُوُفِّيَ بِدَارَيَّا[3]، وَحُمِلَ إِلَى دِمَشْقَ وَدُفِنَ بِبَابِ الصَّغِيرِ.

وَذَكَرَ بَعْضُ خَوْلَانَ، أَنَّ قَبْرَهُ بِدَارَيَّا، بِمَقْبَرَةِ خَوْلَانَ.

قِيلَ: لَمَّا احْتَضَرَ بِلَالٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَداً نَلْقَى الأَحِبَّةَ مُحَمَّداً وَحِزْبَهُ، فَقَالَتْ زَوْجُهُ: وَا وَيْلَاهُ، فَقَالَ: وَافَرْحَاهُ.

---

(١) الباب الصغير: باب دمشق الجنوبي، وهناك مقبرة بالقرب منه تنسب إليه.
(٢) باب كيسان: منسوب إلى كيسان مولى معاوية، بالقرب من الباب الشرقي.
(٣) داريا: قرية جنوب دمشق تبعد عنها خمسة كيلومترات، واستقر فيها جماعات من قبيلة خولان اليمانية.